باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فخصصنا مُتَوَخِّيًا في المطارف وإنهائنا للهمم وتشحيذًا للاذهان ، ولكنّ العهدة في ما يدرج فيه على اصحابه فمن براءة منه كلّه . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ومراعي سعة الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف الغلط غيرك عطيًا كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تختار على المطوّلة

الفصاحة وكتّاب العصر

تحت هذا العنوان قرأت للاستاذ الشيخ ابراهيم اليازجي في مقتطف نيسان (ابريل) سنة ١٩٠٢ مقالة جاء فيها على تقسيم الكتّاب وذيّلها باغلاطهم اللغوية كما فعل اليازجي الصغير في «لغة الجرائد» ولا غرو فان جهد الشرتوني الطويل وعناءه الشديد في الاحاطة بشوارد الكلم واوابد التراكيب يخولانه حق الجلوس في منصة اليازجي . ومن غيره اولى بذلك وهو صاحب اقرب المراجع وسواه من الكتب والمقالات اللغوية الشاهدة بطول باعه في الادب اللغوي

على اني وان لم اكن من بني اللغة المدققين اود ان القت نظر الشيخ الاستاذ الى بعض مغان في مقالته رايتي امرها فجئت اعرضها على نظره الثاقد موقنًا ان ما يحيط به اختصاصيّ مثله يقصر عن استيعابه فتى مثلي حديث العهد في صناعة القلم . وعلى كل فالشائع مربوطة باسبابها والكلام بموّ يدانيه

ينكر الاستاذ على الكتّاب استعمال « المحيط والوسط » بدل « الوطن والاقليم » ولا يخفى على حضرته ان المعنى الذي يفهم الآن من لفظي محيط ووسط غير المعنى الذي نفهمه من وطن واقليم بل ان بينهما برزخًا شاسعًا وقد كان من الممكن الاستغناء عن هذا الاشتقاق لو لم تكن اللغة كائنًا حيًّا خاضعًا لناموس النشوء والارتقاء . ولو ان اسلافنا حافظوا على الكلمات العربية التي اخذوها عن اجدادهم بلا زيادة ولا نقصان ونعل الخلف ما فعل السلف لحصروا اللغة ضمن نطاق ضيق يمنعها عن النمو كما يفعل الصينيون بارجل بناتهم . ولو كان محظورًا على ابن اللغة ان يشتق من افعالها بطريقة مألوفة لفظًا للدلالة على امر هو حديث

الانتباه لهُ لكننا ان لم نستطع الافلات من هذا القيد الثقيل . ولا يجهل الشيخ ان المعربين عن اللغات الافرنجية لا غنى لهم عن هاتين الفظتين لان كتبي وعلمي واقلمي لا تقومان مقام ما يعبَّر عنهُ بالافرنجية بالرسط والمحيط

وانكر قولهم « قام بأودهِ » وقال انهم يستعملون الاود بمعنى المعيشة ولم ينقل هذا المعنى احد من اللغويين . نعم ان الامر كما حكم الاستاذ لو صح انهم يفسرون الاود بالمعيشة . ففي الصحاح « آدهُ الحملُ يأودهُ أوداً اثقلهُ » وكذلك في القاموس فآد اذن تستعمل بمعنى الثقل ومن الكتَّاب من يقول « قام بأود معيشتهم » اي بثقلها وهذا هو الاستعمال الاصح والاسبق كما ارجح الاَّ ان جمهورهم يقول الآن « قام بأودهِ » ويكتفون عن المعيشة باضمارها وقد جرى هذا الامر على كلمات كثيرة في اللغة منها لفظة برهة ومعناها الزمن الطويل ثم صاروا يقولون برهة وجيزة للدلالة على القصير من الزمن ثم حذفوا النعت واشاروا بالبرهة الى الزمن القصير وهذا هو المفهوم منها الآن عند العموم

وانكر عليهم « الدثار » وقال انهُ لم يرَ مصدراً لدثر غير الدثور بمعنى الهلاك والفناء ولا يعلم من اين جاؤوا بهذا الدثار . وفي مختار الصحاح « الدثار بالكسر كل ما كان من الثياب فوق الشعار وقد تدثَّر اي تلفَّف في الدثار » وفي محيط المحيط « الدثار ما فوق الشعار من الثياب وما تغطى بهِ النائم » وفيهِ ايضاً « حكي عن عبدالعزيز المسيح ابن الربان انهُ دخل الى قبتهِ في ليلة باردة وكان فيها اسارى قد ناموا بلا غطاء فقال للوكلين عليهم دثروا اسراكم وخرج فقاموا اليهم بالسيف فتناولهم لانهم فهموا منهُ معنى الاهلاك » واذا صحت هذه الرواية فهي تدل دلالة صريحة على ان دثر كانت تستعمل بمعنى غطى او تلفَّف فالاسم منها دثار كرداء واذا لم تصح فرجحنا فطاحل اللغويين كالجوهري والفيروزبادي وغيرهما وقد نقلنا ما قالاهُ بالحرف (الظاهر ان مراد الاستاذ الشرتوني نفي الدثار بمعنى الهلاك والفناء . مق .)

وانكر ايضاً استعمال « رضخ » بمعنى خضع وقال انها لم ترد لاحد من اللغويين بهذا المعنى بل قالوا رضخ بمعنى كسر : رضخ الجوزة كسرها . وفي محيط المحيط « رضخ لهُ خضع ورضخ للحق اذعن ورضخ لهُ من مالهِ اعطاهُ قليلاً من كثير » والمعنيان الاولان مولدان كما يفهم من عبارة المحيط ولا ارى ما يمنعنا عن استعمال المولَّد وفي كتب اللغة عدد عديد منهُ واذا قال الشيخ باهانهِ فليحرق قسماً كبيراً من القاموس . على انني ارى ان رضخ بمعنى اعطى تدرج معناها من الاعطاء الى التسليم الى الاذعان الى الخضوع وهذا ما لا اجزم بصحتهِ ما لم يؤيدهُ النقل ولكنهُ معقول ومثلهُ كثير في كتب اللغة

هذا ما خطر لي كتبته باخلاص وحب للحقيقة مجرداً عن كل غاية واذا رأى الشيخ الاستاذ في موقف وهن فمن الجدير منه بصون الناشئة الجديدة عن وهن الموقف وخرق الرأي

توفيق اليازجي

تصحيح احتضار رزق الله حسون

تكرَّر ذكر هذا الاحتضار فنشرتهُ في كتاب (خزانة الايام في تراجم العظام) لنسيبي يوسف بك نعمان المعلوف منشئ جريدة الايام في نيويورك منذ بضع عشرة سنة عند ترجمتي لحسون باختصار. ثم كررتهُ في مقالتي (الاحتضارات والتعريات) واعدتهُ حضرتكم في الكلام عن حسون. وأُعيد في ترجمتهِ المطوَّلة التي نشرتها مؤخراً وكل ذلك في مقتطفكم الاغر. ثم قرأتهُ منذ يومين في مقالة عصماء لسح بردها صديقي الشاعر الناثر سليم بك عنحوري الدمشقي ردّاً على عبدالله منشئ جريدة (العرب) بشأن السيجين ونشرتها جريدة الاحوال البيروتية وبين كل تلك الروايات اختلافات قليلة. وجميعها تؤذن ان اليتين هما لحسون

ولكن صديقي الفاضل شاكر الندي نعمة الله سلوم مدير جريدة (حمص) الغراء وحرَّرها بعث اليَّ منذ ايام بكتاب ضمنهُ تصحيح ذلك وطلب اليَّ ان انشرهُ في مجلتكم فلبيت طلبهُ شاكراً لهُ حسن ظنهِ ودقة استقرائهِ وهذا مآل كلامهِ:

ذكر المرادي في كتابهِ (سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر) ٣: ١٧٥ تخطير هذين اليتين لعمر اللبقي الحلبي المتوفى سنة ١١٨٩ هـ (١٧٧٥ م) هكذا:

«قدَّر الله ان اكون غريباً»	بين قوم اغدو مضاعاً لديها (كذا)
ورمتني الاقدار بعد دمشقٍ	«في بلاد أُساق كرهاً اليها»
«وبقلبي مخدَّرات معانٍ»	حين تبدو تخال عجباً وتيها
صرتُ ان رمتُ كشفها فأراها	«نزلت آية الحجاب عليها»

فيكون حسون اذن قد استشهد بهما محتضراً وليس من نظمهِ. وبهذه المناسبة اشكر لكل من وقف على شيء من اغلاطي وسقطاتي ونبهني اليهِ فمن انتقد كلمة من اقوالي افادني كثيراً ومن مدحني فقد اضرَّني. لأن الأوَّل يلفت انظاري الى التحقيق والثاني يصرفها الى التملق وشتان بين الخطتين

عيسى اسكندر المعلوف